المجلد التاسع والعشرون للعام ٢٠٢٥م
حولية كلية اللغة العربية بجرجا

تجليات الزمن السردي في رواية دموع الرمل

Manifestations of narrative time in the novel Tears of Sand

إعداد الدكتورة

شيخه بنت سعود بن ماجد السبيعي

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإنسانية

الكلية الجامعية برنيه ـ جامعة الطائف ـ المملكة العربية السعودية

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الثاني من إصدار يونيه ٢٠٢٥م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٥/٦٩٤٠م

تجليات الزمن السردي في رواية دموع الرمل

شيخه بنت سعود بن ماجد السبيعي

قسم الدراسات الإنسانية ـ الكلية الجامعية برنيه ـ جامعة الطائف ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: shakhah08@outlook.sa

الملخص :

يتناول البحث موضوعا هاما من مواضيع التقنيات السردية في النص الحكـــائي، وهو موضوع تجليات الزمن وحضوره في رواية (دموع الرمل) للكاتب شتيوي الغيثي، وتشكل البحث على مقدمة وضحت أهمية الدراسة وأهدافها والمنهج المتبع والدراسات السابقة، كما تناول التمهيد مفهوم الزمن وكذلك مدونة الدراسة.

وانطوى البحث على أربعة مباحث هي:

١ــ بناء الزمن والمتمثل في البناء التتابعي والبناء الدائري.

٢ ــ أنماط الزمن وفيه ظهر نوعين من الزمن الأول الزمن الموضوعي المتمثل في الزمن الطبيعي والزمن التاريخي، والثاني الزمن النفسي للشخصيات.

٣ ــ المفارقات الزمنية وتتبلور في تقنيتي الاسترجاع الاستباق.

٤ ــ الحركات السردية وتتضح في تقنيات البطء والتسريع.

وقد خلصت الدراسة إلى أهم النتائج التي توصل لها البحث متبوعـــا بالمصـــادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الزمن، النص السردي، دموع الرمل، شتيوي الغيثي.

Manifestations of narrative time in the novel Tears of Sand

shaykhah saub majd ALsbuaie
Department of Humanities Studies University College Bernia Taif University Kingdom of Saudi Arabia.
Email: shakhah08@outlook.sa

Abstract

The research deals with an important topic of narrative techniques in the narrative text, which is the theme of the manifestations of time and its presence in the novel (tears of sand) by the writer shtewy Al-ghaithy, and the research consisted of an introduction that explained the importance of the study, its objectives, the approach followed and previous studies, and the introduction dealt with the concept of time as well as the study code.

::The research involved four investigations

١- the construction of time, represented by sequential construction and circular construction.

٢- patterns of time, in which two types of time appeared, the first is the objective time represented by natural time and historical time, and the second is the psychological time of the characters.

٣- temporal paradoxes are crystallized in the two techniques of anticipatory retrieval.

٤- narrative movements are manifested in the techniques of slowness and acceleration.

The study concluded the most important findings of the research, followed by sources and references.

Keywords: time, narrative text, tears of sand, Shteiwi Al-Ghaithi.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يعد الزمن في الرواية واحدا من أهم العناصر التي تشكل العمل السردي، ولا يظهر ــ الزمن ــ بصورة منفردة بل إنه يتخلل النص بكامله، فعلى إيقاعات الزمن تسجل الأحداث وتتطور الشخصيات وتتشكل الأماكن.

وهو الذي يحدد طبيعة الرواية وشكلها، فشكل الرواية يرتبط ارتباطا وثيقا بتشكل الزمن، وليس للزمن وجود مستقل نستخرجه من النص كما هو الحال في الشخصية أو الأشياء التي تشغل حيزا.

ومما يساعد على مرونة الرواية "أن عنصر الزمن فيها لا ينغلق على نفسه كالدائرة، فكل شيء فيها يتحرك، وكل شيء يتغير، وذلك في حركة زمنها التي تستبدل بالتكرار مقولات مثل التقدم أو التطور... فينفتح الفضاء الروائي ويتشعب، وتحاول الشخوص أو الوظائف أن تغير من وضعها"(١).

وبالنظر إلى المكونات الفنية التي أسهمت في تشكيل الرواية السعودية، ارتأى البحث إلى اختيار أحد هذه المكونات البنيوية التي تمثل العمود الفقري للبنية الداخلية للنص السردي، المتمثل في عنصر الزمن.

ويعود السبب في اختيار الموضوع هو الرغبة في إثراء الدراسات النقدية التي تتناول السرد وميدانه، وكذلك قلة الدراسات التي تناولت رواية (دموع الرمل) بالرغم وصولها إلى القائمة الطويلة للأعمال المشاركة في جائزة القلم الذهبي للأدب الأكثر تأثيرا، وهو الأمر الذي يضيف دراسة جديدة للأدب السعودي.

وتهدف الدراسة إلى الوقوف على عنصر الزمن في السرد الروائي من خلال دراسة أنماطه وتقنياته وذلك من خلال رواية (دموع الرمل). واستعانت الدراسة بأدوات المنهج البنيوي، مع الإفادة بما تدعوا إليه الحاجة من مناهج أخرى.

---

(١) جابر عصفور، "زمن الرواية". (ط١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م)، ص٦٥.

وتتشكل خطة البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة؛ التمهيد يتناول التعريف بالزمن وأهميته وكذلك التعريف بمدونة الدراسة، وأما مباحث البحث فقد فصلت الزمن على النحو التالي:

- بناء الزمن
- أنماط الزمن
- المفارقات الزمنية
- الحركات السردية

واختتمت الدراسة بأهم النتائج التي توصل إليها البحث، ويتبع ذلك قائمة المصادر والمراجع.

تمهيد

ارتبط الزمن بالأدب ارتباطا وثيقا، وذلك لأن "الزمان هو الصورة المميزة لخبرتنا، إنه أعم وأشمل من المسافة (المكان) لعلاقته بالعالم الداخلي للانطباعات والانفعالات، والأفكار التي لا يمكن أن نضفي عليها نظاما مكانيا"(١).

ويشكل الزمن بعدا مهما ومكونا رئيسيا للعمل السردي بشكل خاص، في كونه يقوم بعملية رصد العلاقات القائمة بين الشخصيات والوقائع والأحداث والأماكن.

والزمن في اللغة هو " اسم لقليل الوقت وكثيره، والزمن والزمان والعصر، وأزمن الشيء: طال عليه الزمان، وأزمن بالمكان أقام به زمناً"(٢).

يتحدد مفهوم الزمن في الوقت، وهي المدة المحددة التي يحتاجها أمر لإتمامه "الزمان زمان الرطب والفاكهة وزمان الحر والبرد، ويكون الزمان شهرين إلى ستة أشهر، قال: والدهر لا ينقطع"(٣).

ويرى صاحب دائرة المعارف بطرس البستاني أن الزمان أعم من الدهر، فالزمان "اسم لقليل الوقت وكثيره بخلاف الدهر؛ فإنه يعبر به عن المدة الكثيرة فقط".(٤)

ويمكن عد القص أكثر الفنون التصاقا بالزمن؛ كونه أهم العناصر التشويقية، ويحدد مجموعة الدوافع المحركة للأحداث، وليس له وجود مستقل، فهو يتخلل السرد كله، وذو أهمية بالغة لعالم السرد الداخلي، سواء حركة شخوصه، وأحداثه،

---

(١) هانز ميرهوف، "الزمن في الأدب". تر: أسعد رزوق، مر: العوضي الوكيل، (ط١، القاهرة: مؤسسة سجل العرب، ١٩٧٢م)، ص٧.

(٢) محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ١٣:١٩٩، مادة (زمن)

(٣) المصدر السابق.

(٤) بطرس البستاني، "دائرة المعارف". (د.ط، بيروت: دائرة المعرفة، د.ت)، ٩ :٢٢٤.

وأسلوب بنائه.

كما أن الزمن يختلف استعماله من رواية إلى أخرى ومن مبدع للآخر، فتحررت نظرية خطية الزمن التي سيطرت على الرواية التقليدية فترة من الزمن، وأصبح الروائي يوظف الزمن توظيفا جماليا.

وستحاول الدراسة في هذه البحث الكشف عن تجليات الزمن في رواية دموع الرمل، وذلك بالوقوف على أربعة مباحث: الأول يدرس بناء الزمن وذلك بالوقوف على طريقة بناء الزمن في الرواية، والثاني يهتم بأنماط الزمن؛ كالزمن الموضوعي والزمن النفسي، والثالث يتناول المفارقات الزمنية كالاسترجاع والاستباق، وأخيرا الأخير يسلط الضوء على الحركات السردية كالخلاصة والحذف والمشهد والوقفة.

- **مدونة الدراسة**:

صدرت رواية (دموع الرمل) عام ٢٠٢٣، للكاتب شتيوي الغيثي، استند الكاتب فيها على التاريخ وعلى المعارك؛ وخاصة معارك المؤسس الملك عبد العزيز آل سعود طيب ــ طيب الله ثراه ــ واختار الصحراء لتكون الفضاء العام الذي تدور فيه الأحداث، وهو الفضاء الذي ظهرت دلالته للقارئ منذ العتبة الأولى للنص (العنوان)، فعنوان الرواية (دموع الرمل) شكل بطاقة تعريفية لنص الرواية فـ (الرمل) يدل بصورة مباشرة إلى عالم الصحراء والكثبان الرملية، ومما سبق نستطيع القول بأن عنوان الرواية قدم الفكرة العامة للمضمون السائد في المتن الحكائي، واتكأ على شخصية محورية كانت حاضرة على امتداد النص "نوير"، مع متداخل شخصية أخرى كان لها الدور الأكبر في تدفق الأحداث، والمتمثلة في أبي نوير وأبي سالم وابنها ضاري وعمها وجدتها وعبد أبي سالم.

المبحث الأول

بناء الزمن

تتعدد الأبنية الزمنية للرواية، فهناك البناء المتتابع والبناء المتداخل والبناء الدائري وغيرها من الأبنية، وسنقف في هذا المبحث على دراسة بناء الزمن في رواية "دموع الرمل".

سيطر البناء التتابعي التسلسلي على الرواية، حيث تتابعت الأحداث في تسلسل زمني رتيب، فتبدأ من بداية الحدث أي الصفر وتنتهي إلى النهاية (الخاتمة)، والأحداث تظهر في هذا البناء بصورة متلاحقة.

فنجد السارد العليم في الصفحات الأولى من الرواية يتحدث للقارئ عن "نوير"، فيتحدث عن نشأتها في الصحراء، وفقدها لأبيها وأخوتها في وقت مبكر، ومكوثها بالقرب من بيت عمها، ومن ذلك قوله: "عمها هو من كفلها حينما توفي أبوها، ولا رجل يمكن له في هذه الدنيا كلها أن تقف له احتراما غير عمها الذي صار بمثاب أبيها... مات أبوها في معركة البكيرية مع عدد ممن مات من المشاركين في جيش حائل. هي ما زالت تشكك أن أباها فارس ولا يمكن أن يقتل هكذا في معركة! لها أخوان اثنان: واحد غادر البلاد إلى العراق في إحدى الرحلات ولم يعد..."[١]، نلاحظ مما سبق أن الكاتب حرص على تقديم بعض المعلومات التي تخص الشخصية الرئيسية (نوير) إلى القارئ، وهي أحد طرائق البناء التتابعي، وغايته تقديم الشخصية الرئيسية وجعلها أمام أنظار القارئ.

ومن ثم انطلقت أحداث الرواية صعودًا إلى نقطة النهاية، فتحدث السارد عن زواجها من أبي سالم ومن ثم حملها وولادتها بابنها ضاري، ثم طلاقها، وتربيتها لابنها، وسفره إلى حائل ونجد، وانضمامه إلى معارك أخوان من طاع الله

(١) شتيوي الغيثي، "دموع الرمل"، رواية. (ط١، الرياض: دار تشكيل، ١٤٤٥/ ٢٠٢٣م)، ص١٨.

ومعاركهم، ومن ثم وفاته في هذه المعارك، وبعدها تعود لأبي سالم وتحمل بابنتها وضحى.

مما سبق يظهر البناء التتابعي في الرواية والذي من شأنه أن أضاف للقارئ إمكانية متابعة الأحداث بشكل تسلسلي؛ فالرواية تبدأ بنشأة نوير ثم تسير سيرًا صاعد حتى تنتهي بإنجابها لابنتها، وإن ظهر التفاتات إلى الوراء من خلال مقاطع استرجاعية، فهي التفاتات تنمي السرد وتقوي علاقة القارئ بالنص.

وكما أن هناك البناء التتابعي فهناك أيضا البناء الدائري وهو أحد فروع البناء المتداخل للزمن، وفيه يتخذ السرد طريقا معاكسا لبناء التتابع التقليدي "بمعنى أن تكون آخر نقطة بلغتها الحكاية هي النقطة الأولى التي يبتدئ بها الخطاب؛ فتبدأ القصة من نهايتها ثم ترتد في حركة عكسية نحو الماضي ليعود السرد متتابعا ومنتهيا في لحظة خاتمة الرواية: أي عند النقطة التي ابتدأ بها السرد، لتلتحم بذلك القصة مع بدايتها محكمة بذلك الخط الدائري الذي سارت فيه الأحداث"(١).

فنرى شتيوي الغيثي يسلك هذا البناء الزمني في مقدمة روايته " دموع الرمل"، لينطلق السرد من اللحظة التي اكتملت الحكاية فيها، ووصلت إلى نهايتها، ومن هذه النهاية يعود السارد ليقدم حكايته منذ ابتدائها، لتتخذ الرواية مسارًا دائريًا، والسرد سيكون محتكرا بكل ما حدث في الماضي، أي أن الماضي سيكون مفسرا للحاضر (مقدمة الرواية).

فالقارئ يجد نفسه في أول دخوله لنص الرواية؛ أمام عنوان داخلي؛ اسماه الكاتب (ذاكرة من غبار)، وكان عبارة عن حديث يبديه السارد (الحفيد) بضمير المتكلم "اليوم هو الذكرى الأربعون لوفاة جدتي، وحينما أقول ذلك فلا أحتفل حقيقة بهذه الوفاة، إنما احتفل بالذاكرة التي رحلت؛ بالذاكرة التي كنت أتعجب وأنا صغير، كيف تتشكل كلمات وحكايات لا تتوقف... أول سؤال سألته جدتي حينما كنت

(١) سهام صالح العبودي، "أصوات الزمن في القصة القصيرة السعودية". (ط١، الرياض: دار المفردات للنشر والتوزيع، ١٤٤١ه)، ص١٥٤.

صغيرا كان عن دموعها. لماذا كانت تبكي؟ ولماذا كان في بكائها رمل ينحدر من عينيها؟ ... ثم تعود لتبدأ حكاياتها من جديد، وفي نهاية كل حكاية كنت أرى دموعها قليلة تتساقط دمعة تلو أخرى، تشق طريقها الرملي من طرف عينيها إلى منتصف وجهها..."[١]، فالرواية هنا تتخذ من شكل الدائرة بناء لها؛ وتفتتح الحاضر بالحديث عما وصلت له (نوير)، فالشخصية الرئيسية بعد سلسلة من الأحداث انتهى بها الأمر إلى الحزن والدموع التي تشق طريقها الذي عرفته من كثرة انهمارها، إشارة لنهاية مؤلمة بعد أحداث ومواقف فرحه.

وهذه البداية للرواية تحتم على الكاتب الرجوع للماضي، لطرح الإجابات والتفسيرات الماثلة في مقدمة الرواية؛ وذلك عن سبب تساقط دموع الجدة والحزن المستوطن في عينيها، فيفصح السارد عبر العودة إلى الماضي عن حياة الشخصية وماضيها.

ومما سبق يتضح تعدد الأبنية الزمنية في الرواية، وذلك بين البناء المتتابع والبناء الدائري؛ بما يخدم السرد، وبما يفضي على الرواية قالب التجديد والتغيير.

(١) الغيثي، "دموع الرمل"، ص٩.

المبحث الثاني
أنماط الزمن

الزمن في الأدب عموما وفي الحكي خصوصا ينقسم تقسيمات شتى، منها يطرحه أحمد طالب بتقسيمه إياه إلى زمان أفقي، وزمان عمودي، فالزمان الأفقي "هو الزمان الخارجي الواقعي التاريخي الموضوعي يغلب عليه الطابع الحسي على خلاف الزمان العمودي الذي يقصد به الزمان الذاتي المتعلق بزمان الشخصية الداخلي الذي يطغى عليه الطابع النفسي"(١).

فالزمن الذي يحكم النص السردي، هما زمنان:

الأول: الزمن الموضوعي وينقسم إلى زمن طبيعي وهو المحدد بأطوار التوقيت المعروفة كالليل والنهار والفصول الأربعة. والزمن الآخر هو الزمن التاريخي وهو الفترة الزمنية المشكلة للخلفية التاريخية للأحداث.

الثاني: الزمن الذاتي: وهو الزمن النفسي والذي يقاس حسب إحساس الشخصية به.

وسيتناول البحث بالتفصيل تشكيل الزمن الموضوعي والزمن الذاتي في رواية "دموع الرمل"

١ – الزمن الموضوعي (الكونولوجي):

هو الزمن الذي يخضع لمقاييس مألوفة كالسنة والشهر والليل والنهار، ويظهر لنا في ذلك زمنين، هما الزمن الطبيعي، والزمن التاريخي.

أ – الزمن الطبيعي:

تظهر قدرة الزمن الطبيعي في النصوص الحكائية على تحديد زمن الحاضر السردي، ويتجلى في تعاقب الفصول والليل والنهار وغيرها من الظواهر الطبيعية التي تسير إلى الأمام ولا تعود إلى الوراء أبدا.

---

(١) أحمد طالب، "مفهوم الزمن ودلالاته في الفكر والأدب". *مجلة الآداب واللغات*٢، (٢٠٠١م): ص٢٩.

يحضر الزمن الطبيعي في رواية دموع الرمل، فيتحدد بها زمن الحاضر السردي، ويكتسب دلالة وقيمة خاصة، ومن ذلك حضور فصل الصيف بشكل كثيف في الرواية؛ فالفضاء العام الذي تدور فيه الأحداث هو فضاء الصحراء، بكثبانها ولهيبها وجفافها، فمن الطبيعي أن يختار الكاتب فصل الصيف حتى يكتسب به النص معنى خاصا، ويتداخل مع الشخصيات؛ ليفرض خطًا معينًا لسلوكها ومصيرها المحتمل، فمنذ الصفحات الأولى للرواية يلتقي القارئ مع الصحراء حتى لتكون عقد القراءة بين الكاتب والمتلقي، وبتأثيرها يُكيّف القارئ قراءته للنص، يقول السارد: " تنفتح الصحراء أمام ناظريها بكل أتساعها، ولا شيء غير ذلك، تمتد طويلا، طويلا حتى تسد الأفق، فلا ترى إلا هذا الرمل المتعاقب إلى آخر العالم الذي باستطاعة عينيها أن تراه..."(١).

ويظهر فصل الصيف ــ في الرواية ــ كبؤرة تنطلق منها الأحداث، فبسبب الجفاف وانقطاع المطر وقلة الماء، تحتم الأمر على الشخصيات أن ترحل إلى الشمال بحثا عن الماء وعن الحياة، يقول السارد: "هذه السنة سنة جدب، لم ينزل المطر إلا أياما لا تكفي أن تخرج ما فيها من عشب. لا يحتمل البدوي أن يرى حلاله يموت أمام ناظريه ولا يستطيع أن يفعل شيئا إلا الرحيل، لذلك كان البدو سادة الصحراء يقطعونها شرقا وغربا أو شمالا وجنوبا من أجل حياتهم..."(٢).

ولكن سقوط (أبو نوير) من أعلى النخلة، تسبب في كسر رجله، فمنعه ذلك من السفر مع عشيرته، فبقي مع ابنته نوير في لهيب الصيف "يوم قائظ يخلفه يوم قائظ آخر، وأبو نوير ممدد في بيت الشعر الصغير هذا، لا يرى إلا سواده الذي فوق رأسه... يوم بعد يوم، وأسبوع بعد أسبوع، وسموم رياح جافة خلف سموم رياح أخرى، وهذه البنت تتعذب وحيدة في سكون هذا العالم الصحراوي الرتيب. منذ أن رحل جماعته لم يمر أحد، ولا حتى إنسان عابر"(٣)، فالكاتب في تحديده

(١) الغيثي، "دموع الرمل"، ص ١٥

(٢) المصدر السابق، ص٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٢.

الدقيق لزمن الأحداث، أضفى على الرواية طابع الشفافية والمصداقية.

فالسارد يضع له منهجية في سرد الأحداث، وذلك بتحديد المؤشرات الزمنية الطبيعية، ويستغلها في ترتيب مقتضيات الحدث، فالحدث ينطلق من فصل الصيف وحرارة الرمال، وتظهر فيه الشخصيات لاهثةً، تسفعها حرارته ورطوبته الخانقة.

كذلك الليل ظهر بشكل بارز، وكان له الدور الكبير في تفاقم الأحداث، فهو وقت الوحدة والحزن وبث الشكوى، ويمكن استشعار ذلك في صفحات الرواية، يقول السارد عن نوير: " وفي الليل تسقط نائمة من التعب، فلا يسمع إلا غطيطها أو بكاؤها أحيانا حسرة على صيرها الذي لا حول لها فيه ولا لأبيها... ليلة أخرى من ليالي حزنها تستيقظ على ثغاء الأغنام الخائفة من ذئب جائع ينهش فيها. نزل عليها من الجبال البعيدة ليفترس منها ما يفترس. حملت البارودة وأطلقت باتجاه الذئب ففر بعيدا"(١).

وكما أن الليل هو الوقت الذي يستغله كثيرا قطاع الطرق واللصوص من أجل السرقة، وخاصة في الصحراء، حيث لا أمن ولا أمان، هكذا كان نصيب بعض الليالي في رواية دموع الرمال، "في ليلة قمراء جاء الحنشل السن تعجبوا من وجود بيت شعر صغير في هذه الصحراء الواسعة، فمن عادة البدو أن يعيشوا جماعات وليسوا أفرادا إلا ما ندر... حين انتصف القمر من الليل سروا على الأبل ليأخذوها. توجهوا إليها مباشرة بلا حذر ولا خوف.."(٢)، فاختيار الليل لجعله الخلفية التي تدور فيه الأحداث كان موافقا مع ما يتميز به هذا التوقيت من مميزات خاصة تجعل القارئ يتقبل حدث السرقة وقطاع الطرق.

كما يعد الليل وقتا لبث الهموم والشكوى، فالسارد يجد في الليل زمنا خصبا لجعل الشخصيات تبث حزنها فيه، حيث كان الليل الذي يسبق المعركة ليلا طويلا على أبي نوير والرجال المشاركين في حرب ابن رشيد، فهم لا يعرفون مصيرهم فيه.

---

(١) الغيثي، "دموع الرمل"، ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق، ص٤٥

وتظهر في الليل الشجاعة لبعض الشخصيات، فنوير الفتاة الخجولة تتشجع وتطلب من أبي سالم أن يقوم بدوره كزوج، ورغم الألم الذي أصابها في تلك الليلة إلا إنها كانت سعيدة لأنها تحولت من فتاة إلى زوجة، يقول السارد: "بعد تردد طويل تشجعت، فطلبت منه في الليالي التالية أن تكون زوجة حقيقية مثلها مثل كل نساء العشيرة. نظر إليها بصمت، وكأنه ينتظر منها هذا الطلب بالتحديد. قام إليها، وأكمل واجبه الذكوري... ابتسمت رغم الألم الذي يخترق جسدها. ولم تتصور نفسها يوما امرأة لرجل"(١).

مما سق ندرك أن الزمن الطبيعي جاء مساندا للأحداث، ومتناغما مع هموم الشخصية، متخطيا دلالته المعروفة إلى دلالات أخرى تخدم الحدث والشخصيات.

ب – الزمن التاريخي:

هو الفترة الزمنية المشكلة للخلفية التاريخية للأحداث، ويتكئ الزمن التاريخي في الرواية بذكر الحروب والأحداث المجتمعية؛ ليشكل منحى جماليًا في تحديد الزمن التاريخي الذي تدور في فضائه الرواية، يقول السارد عن أبي نوير: "يحدث نفسه ماذا لو كان في جيش ابن سعود؟ كيف سيرى جيش ابن رشيد، كلاهما من نجد، ولا فرق كبيرا بينهما إلا في سياسة الأمور، يعاود المقارنة من جديد، فيرى أن الأمور تسير لصالح ابن سعود والسبب بسيط، بسيط جدا، هذا رجل يتوسع في ملكه، وابن رشيد يخسر أجزاء من نفوذه. معادلة بسيطة جدا يعرفها الصغير قبل الكبير، ثم إن الملك كان طويل العهد في آل سعود، وهم الذين وضعوا ابن رشيد في حكمهم من قبل..."(٢) هذا الحدث السياسي الذي تحول إلى حدث روائي هو فتح الملك عبد العزيز للرياض، حضر ليشكل الزمن العام للرواية.

كذلك يظهر زمنا آخرا لا يقل أهمية عن الزمن السابق، وهو زمن جماعة أخوان من طاع الله، وهم الجماعة التي أنظم لها ولد نوير (ضاري) فيما بعد، حتى

(١) الغيثي، "دموع الرمل"، ص٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص٥٦.

يكون مصيره مثل مصير جده (أبي نوير) وهو الموت، يقول السارد عن ذلك: "عزم ضاري على الرحيل إلى الرياض ومصاحبة واحد من مشايخها، وقبل أن يبدأ بالرحيل حذره الشيخ من الدخول في جيوش أخوان من طاع الله الذين خرجوا على الإمام ابن سعود. أمره أن يتخطاهم ولا يلتفت إلى أقوالهم حتى يصل الرياض. لا يعرف من هم أخوان من طاع الله..."(١).

وفي موضع آخر في رواية جاء " حين أنس به الرجل طيلة الأيام الثلاثة التي قضاها في ضيافته، أخبره أنهم جماعة فيصل الدويش؛ أخوان من طاع الله"(٢).

ومما سبق نجد أن الرواية كانت حافلة بالمؤشرات الطبيعية والتاريخية التي تحدد وترسم الزمن الذي تجري فيه الأحداث، وهذا التحديد أضفى على الرواية طابع الشفافية، ودلالات أخرى كانت خادمة للسرد.

٢ – الزمن النفسي (السيكولوجي):

الزمن النفسي هو زمن إدراكي حسي لا تحكمه المعايير الزمنية الخارجية؛ إذ "هو زمن نسبي داخلي، يقدر بقيم متغيرة باستمرار، بعكس الزمن الخارجي الذي يقاس بمعايير ثابتة"(٣).

كثيرا ما تشعر الشخصيات الروائية بثقل في مرور الزمن وذلك عائد إلى الخوف والقلق الذي يعتريها، فيتغير قياسها للزمن، فمرات يطول ومرات يمر سريعا حسب حالتها النفسية، وهذا ما شعر به ضاري وهو بين أفراد قبيلته، مما جعله لا يطيق أن يعيش بينهم، كما كره البقاء في الصحراء، "تسلل الملل إلى حياته، حياة رتيبة ومملة إلى الحد الذي لم يعد يطيقه...يجلس وحده في غالب الوقت إن كان العبد مشغولا بأعماله... أيام مملة أخرى من أيام هذا الصحراء

(١) الغيثي، "دموع الرمل"، ، ص١١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٣.

(٣) أ. أ. مندلاو، "الزمن والرواية". تر: بكر عباس وإحسان عباس، (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م)، ص١٣٧.

العريضة، لا يكسر سكونها غير ثغاء الأغنام أو حنين الإبل ورغائها"[١] تغلب الزمن النفسي على الشخصية، وظهر ذلك في شعورها بطول الأيام ورتابتها، مما تسبب ذلك بالملل والضجر، فالقارئ هنا سيشعر بطول الزمن؛ فاليوم غير زمن اليوم المعتاد، وذلك عائد إلى سأم الشخصية وتأففها.

وتعد الذكريات والزمن الماضي لشخصيات "دموع الرمل" هي منبع الصفاء والراحة، فالشخصيات ترى في الماضي الجمال الذي ذهب بلا عودة، فيتولد الاشتياق والحنين، وهذا الشعور ظهر في رواية "دموع الرمل" وذلك بعد أن انضم أبو نوير إلى جيش ابن رشيد، وتذكر فيها الصحراء وعشيرته، "شهران أو ثلاثة مرت لياليها عليه في جيش ابن رشيد. ضاقت عليه الديار بين تلك الجدران. كان بدويا لا يعرف إلا اتساع الصحراء يسير فيها حيث يشاء لا يحد نظره إلا جبال بعيدة أو سراب يخيل للسارين بأنها واحة ماء. هو الآن بين عدة جدران طينية ترتفع عالية..."[٢]، فندمه على الانضمام لهذه الحرب التي لا دخل له فيها جعلته يكره العيش بين البيوت، ويشتاق للصحراء واتساعها.

كما أن هناك الماضي الجميل فهناك أيضا الماضي المليء بالذكريات المؤلمة والحزينة، وتعد هذه الآلام مصدر لتحرك الشخصيات وتقدمها، فالزمن هنا يصبح دافعا لتطور الأحداث، فشخصية "نوير" في الرواية تجعل تجربة الماضي منطلقا نحو المستقبل، فتتنازل عن بعض القرارات التي اتخذتها حيال نفسها، كتنازلها عن قرار ألا تكون رهينة رجل، فبعد فقدها لابنها ضاري، استجمعت قواها وقررت العودة لأبي سالم علّها ترزق بابن يكون لها السند في هذه الحياة، لكن تشاء الأقدار وترزق ببنت اسماها أبوها (وضحى).

ويختلف شعور الشخصية بالزمن بين السرعة والبطء، وهذا الشعور نابع من احساسها الداخلي، وقد تجسد الزمن النفسي في المونولوج الداخلي عند شخصيات

---

(١) الغيثي، "دموع الرمل"، ص١٠٣- ١٠٤.

(٢) المصدر السابق، ص٥١.

الرواية، ومن ذلك حديث ضاري مع نفسه ــ حين غادر حائل متجها إلى شرق نجد ــ عن مدينة حائل، مما يكسب الزمن قيمته الجمالية، وهو يتطور من خلال الخصائص الإنسانية للشخصيات، ويدل على ذلك: "لا يعرف ما سر هذه المدينة التي تأسر فما أن يغادرها أهلها؛ إلا ويتشوقون إليها ويأخذهم الحنين إليها. يتعجب كيف تكون للأماكن روح تتسلل إلى القلوب حتى تعشقها، لكنه الآن أمام الصحراء من جديد.."(١).

وكذلك حديث نوير مع نفسها وقلقها حيال تأخر حملها بضاري، يتضح ذلك في قول السارد العليم "قلق تسلل إلى قلبها. بودها لو تحمل سريعا بولد ذكر حتى يتم الرجل آخر وعوده التي قطعها لها. ماذا لو لم تحمل؟ هل ستكون رهينة هذا الرجل مدى حياته؟ ..."(٢)، وغيرها الكثير من المنولوج الداخلي الذي كان له الدور الأكبر في تبلور الزمن النفسي وتطوره في الرواية.

والزمن النفسي هو زمن نابع من باطن الشخصية، فنراه يبالغ في بعض اللحظات والأيام، فلا يكاد يمر الزمن فيها، ومن ذلك الملل الذي أصاب "ضاري" وضيقه تجاه الصحراء التي ضاقت به ذرعا، وأصبحت مكانا طاردا له "أيام مملة أخرى من أيام هذه الصحراء العريضة، لا يكسر سكونها غير غثاء الأغنام أو حنين الإبل ورغائها، أو سحال صغيرة تهرب من شجرة إلى شجرة، أو طائر أم غرير يقفز من غصن إلى أخر..."(٣)، فتأمل الشخصية فيما يسكن الصحراء؛ ووصفها الدقيق لها كان له الأثر في تباطأ الزمن الروائي الناتج عن الزمن الداخلي للشخصية.

(١) الغيثي، "دموع الرمل"، ص١١٧.

(٢) المصدر السابق، ص٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص١٠٦.

المبحث الثالث

المفارقات الزمنية

منذ أن ظهرت الرواية الحديثة انفتح الزمن على تقنيات زمنية أعطت الروائي حرية البدء والتنقل عبر الزمن للحظة التي يراها خادمة للسرد، ومن هذه التقنيات الفلاش باك أو الاسترجاع بأقسامه الثلاثة المتعارف عليها عند نقاد السرد، وهي:

أ ــ الاسترجاع الخارجي الذي يحيل إلى ذكريات بعيدة تسبق زمن الحاضر السردي.

ب ــ الاسترجاع الداخلي الذي يعود فيه السرد إلى استكمال أحداث لاحقة، قريبة وواقعة في سياق حاضر السرد.

ج ــ الاسترجاع المزجي الذي يتداخل فيه الاسترجاعان الخارجي والداخلي.

كما يبرز كذلك ما يسمى بالاستشراف هذه التقنية التي تحتمل سلفا تحقق الحدث اللاحق من عدمه.

فدراسة المفارقات الزمنية تكشف عن قيام الكاتب من تدخلات في ترتيب الأحداث؛ فنراه يقدم حدث ويؤخر حدث بما يخدم مضمون السرد دون الاخلال بمقتضيات التشكيل الروائي، وهذه التدخلات تتمثل في الاسترجاع والاستباق، وسيفصح هذا المبحث عن أوجه المفرقات الزمنية وخدمتها للمضمون رواية "دموع الرمل".

١ – الاسترجاع :

إن استذكار الأحداث أو الوقائع الماضية يأخذ أكثر من بعد، فقد يكون الماضي على شكل وخزات ضمير، وقد يكون أحد الحواجز التي تدفع الشخصية لمحاولة تجاوز واقعها وصنع مستقبل جديد، وكثير ما يعود الانسان إلى الماضي لأنه أضحى مكشوفا لا خوف منه، كما هو حال المستقبل[١].

(١) أحمد حمد النعيمي، "إيقاع الزمن في الرواية المعاصرة". (ط١، عمان: دار فارس، ٢٠٠٥م)، ص٣٢.

وتضطلع تقنية الاسترجاع بوظائف عديدة في السرد القصصي، منها:

أ ــ إعطاء معلومات عن ماضي عنصر من عناصر الحكاية، كماضي شخصية أو حدث.

ب ــ سد ثغرة حصلت في النص القصصي.

ج ــ تذكير بأحداث ماضية وقع ذكرها فيما سبق من السرد(١).

ومن أمثلة حضور الاسترجاع في رواية "دموع الرمل" ذاك الاسترجاع الطويل الذي يتحدث فيه السارد عن أخوان نوير، يقول: "لها أخوان اثنان: واحد غادر إلى العراق في إحدى الرحلات ولم يعد. قالوا: إن القافلة نزلت بالقرب من نهر دجلة. ولأنه عاش طيلة عمره في الصحراء فلم يكن يرى ماء بهذه الكثرة من قبل، شرب كثيرا وأروى ناقته، وفي الليل أراد أن يستحم من ماء النهر بعيدا عن العيون كي لا ترى عورته السمراء في هذا الظلام... ولأنه لا يعرف طبيعة التربة في الأنهار انجرفت به الأرض فسقط... والثاني مات بسبب ذئب. نعم ذئب! ذهب كعادته ليصيد ويأتي للعشيرة بما يجده من أرانب أو وعول في الجبال؛ لكنه تأخير أكثر من ثلاث أيام. قلق عليه أبوه فذهب للبحث عنه مع عدة رجال. قصوا أثره الذي كادت أن تطمسه الرياح، وجدوه من بعيد، وحينما اقتربوا رأوه جالسا على صخرة وبجانبه بارودته ونصف بطنه مفتوحة اندلقت منها أحشاؤه"(٢).

فالسرد يعود إلى الماضي؛ ليطلعنا على العلاقة التي تربط الشخصيات التي لم تتضح في حاضر السرد، والتي من شأنها تخبر القارئ بمعاناة الشخصية الرئيسية (نوير) مع الفقد في وقت مبكر من حياتها.

ويُكمل السارد الحديث عن الماضي وتفاصيله عبر مفارقة الاسترجاع الطويل، والذي امتد على ما يقرب عشرة صفحات من الرواية، فيذكر فيه تاريخ أبي نوير وعلاقته بأبي سالم وقرار ذهابه وانضمامه إلى جيش ابن رشيد ضد ابن

(١) النعيمي، "إيقاع الزمن في الرواية"، ص٣٤.

(٢) الغيثي، "دموع الرمل"، ص١٨-٢٠.

سعود وموقف صديقه أبي سالم من هذا القرار ومحاولة ردعه عن هذا القرار، ووصيته التي اوصاه إياه؛ وجعلها أمانة في عنقه "نوير يا أبا سالم، نوير، أمانتك هي إن غبت حيا، وزوجتك هي إن عدت ميتًا"(١)، ومن ثم يتحدث السارد عن رحيله ومشاركته في جيش ابن رشيد، وحديث نفسه بالانسحاب، إلى أن التقى الجيشان وبدأت المعركة وأصيب أبو نوير ثم "فاضت روحه، ففارق أبو نوير الحياة واقفا على رمحه"(٢).

بهذا الاسترجاع انتهجت الرواية نهج التحليل لشخصيات الرواية، فاتضح للكاتب قوة العلاقة التي تربط أبو نوير بأبي سالم، كما يكشف الوصية التي كان لها الأثر في تحوّل الأحداث، وتغيير كثير من القناعات والتنازلات، ومن ذلك تنازل نوير وتغيير قناعتها وقبولها بالزواج من أبي سالم، كما استخدم الكاتب حركة الاسترجاع ليعرّف القارئ بشخصية أبي نوير وكيف كانت نهايته.

مما سبق يتضح أهمية الاسترجاع في إيضاح أحداث الحكاية وسد بعض الفجوات التي تركها السرد، وتنوير جوانب لم تكن واضحة بداية السرد، وملء فضول القارئ في إعطاء تفاصيل أكثر عن الحكاية.

ب – الاستباق :

هو تقنية زمنية تتمثل في " في سرد حدث لاحق أو ذكره مقدمًا"((٣)).

ومن الاستباقات التي حضرت في رواية "دموع الرمل" حديث أبي سالم إلى نوير عن وصية أبيها، يقول السارد: "والله مالي بك حاجة يا نوير لولا وصية أبيك عليك قبل أن يذهب مع جيش ابن رشيد...احتارت في هذه الكلمات التي ألقاها عليها، لا تعلم ماهي وصية أبيها الأخيرة قبل مماته في معركته الأخيرة ؟!"(٤).

---

(١) الغيثي، "دموع الرمل"، ص ٥٠.

(٢) المصدر السابق، ص٦٩.

(٣) محمد القاضي، وآخرون، "معجم السرديات". (ط١، القاهرة: دار العين، ٢٠١٠م)، ص٢١.

(٤) الغيثي، "دموع الرمل"، ص٢٨.

فالاستباق هنا هو إشارة إلى حدث مهم يكمن خلف هذه الوصية، والتي من شأنها كان لها الدور الأكبر في تغير مصير الشخصيات؛ فنوير لم تكن لترض بأبي سالم زوجا لها لولا علما بوصية أبيها، كما أن هذا الاستباق فيه شد للقارئ وتشويق لمتابعة الأحداث لمعرفة ما هي الوصية وعما تتحدث عنه.

ومن الإشارات الاستباقية ما خاطب به أبو نوير نفسه قبل البدء في الحرب بين ابن رشيد وابن سعود، ويقينه بالانتصار لابن سعود، وإعطاءه التبريرات في هذا النصر، يقول السارد: "يرى أن الأمور تسير لصالح ابن سعود والسبب بسيط، بسيط جدا، هذا رجل يتوسع في ملكه، وابن رشيد يخسر أجزاء من نفوذه. معادلة بسيطة جدا يعرفها الصغير قبل الكبير، ثم إن الملك كان طويل العهد في عائلة آل سعود، وهم الذين وضعوا ابن رشيد في حكمهم من قبل، فكانوا ضمن نفوذ حكمهم في دولتهم الثانية، الأصل أن يعود الفرع إلى أصله"(١).

تظهر إيحاءات الحرب في هذا الاستباق، وما ستكون عليه هذه الحرب؛ فالنصر حليف ابن سعود، كما أن الكاتب استعان بالمفارقة الزمنية ــ الاستباق ــ لجذب القارئ لمتابعة أحداث الرواية، وهل ما توقعته الشخصية سيقع! ماذا سيحل بأبي نوير لو ما توقعه سيكون صحيحا! هل سيبقى حيّا ويعود لابنته التي تنتظره؟ أم سيموت مع جيشه المهزوم؟ كلها أسئلة لا يمكن الإجابة عليها إلّا بمتابعة السرد.

كما يظهر الاستباق التمهيدي في حديث نوير لابنها ضاري، وتحذيراتها له في الخوض في قصص وأخبار الحروب لابن رشيد وابن سعود "ينزعج من أمه نوير حين تأمره ألا يهتم بأمور الحرب والملك، فهذه أمور لا شأن له بها. تريده أن يعيش مثل كل أبناء العشيرة ويهتم بإبل أبيه أكثر. أقسمت عليه مرة أن عاد إلى السؤال عن تلك الحكايات ألا تكلمه إلى يوم الدين. لم يهتم لقسمها. راح يسأل ويسأل، حتى صرخت بوجهه ذات نهار: ما تفهم؟ مات جدك بسبب هذه الحروب،

(١) الغيثي، "دموع الرمل"، ص٥٦.

مات وتركني وحيدة بلا أب ولا أخ ولا عائل غيرك أنت. أذا كنت تهتم في مثل هذه الأمور فمصيرك هو مصير جدك، ومصيري ألم مدى العمر"(١).

في المقطع السابق إشارات تمهيدية لما سيقع من أحداث، فسؤال (ضاري) وإلحاحه في معرفة المعارك والحروب كان أسلوبا تمهيديا من الكاتب ليشكل القادم من الأحداث، كذلك قلق (نوير) ومخاوفها ما هو إلا تمهيدات لوقوع أمر عظيم يقلب مصير الشخصيات، كما يعد هذا الاستباق إشارة جمالية لتذكير القارئ بمتاعب (نوير) وآلامها ومصيرها مع الألم والحزن.

ومما سبق نلاحظ حضور المفارقات الزمنية في رواية دموع الرمل كتقنيات خادمة للسرد، فالاسترجاع عمل على تغطية مساحات غفل عنها السرد، وإنارة بعض الجوانب المهمة في حياة الشخصيات؛ كان لها الأثر في تفاقم الحداث وتفسيرها. أما الاستباق حضر ليشكل إشارات لإحداث لاحقة.

(١) الغيثي، "دموع الرمل"، ص١٠١.

المبحث الرابع

الحركات السردية

تقوم حركة السرد على " الوتيرة السريعة أو البطيئة، التي يتخذها في مباشرة الأحداث، وذلك عبر مظهريها الأساسين: تسريع السرد الذي يشمل تقنيتي الخلاصة والحذف، حيث مقطع صغير من الخطاب يغطي فترة زمنية طويلة من القصة، ثم تعطيل أو إبطاء السرد، ويشمل تقنيتي المشهد والوقفة، حيث مقطع طويل من الخطاب يقابل فترة قصصية ضئيلة"(١).

فالسارد بإمكانه أن يروي أحداثًا استغرقت شهورًا في بضعة أسطر؛ ويتصف السرد حين ذاك بالسرعة، ويكون من خلال عمليات قفز انتقائية ومدروسة للأحداث. كما يمكن أن يبسط على صفحات من الرواية حدثًا لم يستغرق ساعة من الزمن أو أقل؛ ويتصف السرد حينذاك بالبطء.

وتتجلى هذه المتغيرات من خلال تقنيات: التلخيص والحذف من حيث هما تسريع لزمن الحكي، والمشهد والمنولوج والوقفة من حيث هما إبطاء به.

١ – تقنيات التسريّع :

تتمثل تقنيات التسريع في الخلاصة والحذف، وسنتناول في الأسطر القادمة حضورها ودورها في رواية دموع الرمل.

أ – الخلاصة :

تعد الخلاصة تقنية سردية تعمل على تسريع السرد، وفيه يتم "المرور الزمني على فترات زمنية، لا يرى المؤلف أنها جديرة باهتمام القارئ"(٢).

وفي الرواية تتضح الخلاصة في حديث السارد عن أبي نوير وأخويها، يقول:

---

(١) حسن بحراوي، "بنية الشكل الروائي". (ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م)، ص١٤٤.

(٢) قاسم سيزا، "بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)". (ط١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م)، ص٨٢.

"عمها هو من كفلها حينما توفي أبوها ... مات أبوها في معركة البكيرية مع عدد ممن مات من المشاركين في جيش حائل. لها أخوان اثنان: واحد غادر البلاد إلى العراق في إحدى الرحلات ولم يعد"(١).

أظهر الكاتب هذه الخلاصة السريعة للقارئ في بداية صفحات الرواية لتقديم نبذة مختصرة عن ماضي الشخصيات، وإمداده بالضروري من الأحداث والمواقف، وسيتم الحديث عنها وروايتها بشكل استرجاعي.

ومن الخلاصة في الرواية ما جاء في الحديث عن نشأت ضاري (ولد نوير) "في السنوات العشرين التي عاشها بين بيت أمه نوير وأبيه وجلساته الطويلة مع العبد كانت تحكي له أخبار متفرقة ينقلها الرجال أو حكيها الرعاة، عن نجد التي توسع فيها ابن سعود، وعن حكاية الستين رجلا الذين قادهم إلى الرياض وقاتل ابن عجلان في قصر المصمك وقتله..."(٢) ، الخلاصة هنا كانت خادمة للسرد، فالمدة المحددة أفادت في تنوير القارئ بعمر (ضاري) وأنه بلغ سن الشباب، وأصبح يعرف القصص وحكايات الأبطال والمعارك سواء عن ابن سعود أو ابن رشيد، والتي كان لها الدور الكبير في تحديد مصير شخصية (ضاري) والتحاقه بإخوان من طاع الله ومن ثم قتله في أحد المعارك التي خاضوها ضد ابن سعود.

وتتضح الخلاصة في فترة بقاء نوير مع أبيها في الصحراء "يوم بعد يوم وأسبوع بعد أسبوع، وسموم رياح جافة خلف سموم رياح أخرى، وهذه البنت تتعذب وحيدة في سكون هذا العالم الصحراوي الرتيب..."(٣) استعان الكاتب في المقطع السابق بتقنية الخلاصة من أجل أن يصف للقارئ مرارة الوحدة والحرمان، وصعوبة العيش، ولأن السرد لا يستطيع أن يقف على كل التفاصيل، ولن يكون مستفيدا منها، اتخذ الكاتب الخلاصة من أجل تمرير الأحداث والوصول إلى الغاية

(١) الغيثي، "دموع الرمل"، ص ١٨.

(٢) المصدر السابق، ص٩٧.

(٣) المصدر نفسه ص ٤١.

المبتغاة في تصوير معاناة الشخصية.

ولتعميق وطأة الإحساس بمرارة الغربة والحرمان، وبما أن السرد لا يستطيع أن يقف على تفاصيل هذه المدة التي تستغرق عدد من السنوات، ولم يكن مستفيدًا بالغوص في تفاصيلها، استعان الكاتب بالخلاصة الاسترجاعية بالمرور السريع على الأحداث.

كما تبرز الخلاصة كتقنية جمالية في تحديد الليالي التي قضتها نوير في التفكير في كلام أبي سالم، وذلك بعد إلحاحها عليه في إخبارها بوصية أبيها له، فبعد معرفتها بفحوى الوصية أصابها الذهول وقضت "ثلاث ليال وهي تفكر بالكلام الذي ألقاه على مسمعها أبو سالم ومضى يدبر أمور حياته"(١)

كما تتجلى هذه التقنية في ختام الرواية وذلك في تلخيص مرت به الشخصيات، ففي ما يقارب ثلث الصفحة من الرواية ذكر الكاتب أن الشخصية الرئيسية (نوير) تزوجت أبا سالم من جديد، وحملت منه، ووضعت بنت هزيلة (وضحى) وكتب لها القدر أن تكبر وتتزوج وتنجب أولاد وبنات، كما أن (نوير) كتب لها القدر أن تبقى في ذمة زوجها حتى وفاتها، هذه الخلاصة السريعة كانت ما يهم القارئ من نتائج ينتظرها، فزواج الشخصية من أبي سالم وإنجابها بنت ويمتد بها العمر حتى تكبر وتتزوج وتنجب، فالكاتب هنا سلط الضوء على الأحداث المهمة وتجنب التفاصيل التي لا يهتم بها السرد ولا تحمل الأهمية الكبيرة.

ب – الحذف :

يشترك الحذف مع الخلاصة في تسريع وتيرة السرد الروائي، وترك فترات زمنية ليس لها الدور الذي يجعل الكاتب يتوقف عندها، ولا عند تفاصيلها.

ويحضر الحذف في رواية "دموع الرمل" بشكل ملحوظ، فمثلا في الفترة التي أمضاها أبو نوير في جيش ابن رشيد، استعمل الكاتب تقنية الحذف ليرسم للقارئ

(١) الغيثي، "دموع الرمل"، ص٧٦.

المدة التي قضتها الشخصية في هذا المكان، يقول السارد: "شهران أو ثلاثة مرت لياليها ونهاراتها عليه في جيش ابن رشيد، ضاقت عليه الديار بين تلك الجدران"(١)، يشير السرد إلى المدة التي قضتها الشخصية في جيش ابن رشيد، وهي مدة مؤلمة وحزينة، ولأن السرد لا يسع لكل التفاصيل؛ وقد لا تكون بقدر مهم لذكرها، استعان الكاتب بهذه التقنية لتكون منحى جماليًا في تسريع الأحداث.

ويكون الحذف خادما للسرد، وذلك بتقليص الزمن وعدم تتبع التفاصيل، ومن ذلك حذف تفاصيل الشهر الذي انتظرت فيه نوير حملها "أسبوعان. ثلاثة. شهر. لم ينزل منها دم. فرحت. مضت إلى جدتها بسرعة..."(٢)، فالغاية هي إثبات انقطاع الدم مدة شهر كامل لإثبات حمل الشخصية، فالقارئ يتتبع هذا الخبر؛ وخاصة بعد خضوعها لعلاج جدتها في البحث عن الحمل، فالحذف والتصريح به كان متوافقا مع مجرى الأحداث، وكمنحى جمالي في تشويق القارئ للتبع الحكاية.

وفي موقع آخر من الرواية يأتي الحذف للتركيز على حوادث بعينها، ومن ذلك حذف تفاصيل عودتها إلى أبي سالم وحملها بابنتها، ونشأت ابنتها حتى كبرت وتزوجت وأصبح عندها أبناء، فالسارد فيما يقارب ربع الصفحة يسرد جميع هذه التفاصيل التي استغرقت سنوات طويلة لحدوثها، فالحذف هنا يهدف إلى رصد مواقف بعينها، كذلك يعد إشارة إلى مراعاة مشاعر القارئ، فما حدث لنوير في فقدها لابنها، لم يكن وقعه بالشيء السهل، فتسريع السرد هنا، وتعمد الحذف كان من باب تلطيف الجو للقارئ ومواساته فيما حدث.

٢- تقنيات الإبطاء:

وبمقابل الخلاصة والحذف يحضر الإبطاء وتقنياته؛ والتي تتمثل في:

أ – المشهد :

يتركز المشهد على الجمل الحوارية في النص، ويكون ذلك عن طريق إسناد

---

(١) الغيثي، "دموع الرمل"، ص٥١.

(٢) المصدر السابق، ص٨٤.

" السارد الكلام للشخصيات، فتتكلم بلسانها وتتحاور فيما بينها مباشرة دون تدخل السارد، أو وساطته"(١).

وقد ورد الحوار في الرواية في أنساق متعددة من حوار ثنائي وحوار داخلي، وقد استخدمها الكاتب كتقنية من أجل إيضاح خفايا الحكاية، ومن ذلك الحوار الطويل الذي دار بين أبي سالم ونوير ــ قبل أن توافق على الزواج به ــ وظهر فيه خبر الوصية الذي قلب الأحداث رأسا على عقب، يقول السارد: " ــ والله يا بنت الأجواد أني لم أرغب فيك من أجل جمال ولا جاه ولا رغبة رجل بامرأة. وليس لي حاجة في النساء غير زوجتي...

– ... لست امرأة تطلب حاجة، ولو كنت طالبة أمرا لطلبته من عمي وأبناء عمومتي...

– والله مالي بك حاجة يا نوير لولا وصية أبيك عليك قبل أن يذهب مع جيش ابن رشيد...

– توقفت. صعقة ضربت في عقلها حتى أربكها هذا الكلام... احتارت في هذه الكلمات التي ألقاه عليها، لا تعلم ما هي وصية أبيها الأخيرة قبل مماته في معركته الأخيرة"(٢)

الحوار هنا أسهم في الكشف عن أسرار الحكاية، فهناك بعض التفاصيل التي لا تتضح إلا بالسؤال والحوار، ومن ذلك الوصية التي لم تكن (نوير) تعلم عنها شيئا، ولأن ليس لها علاقة جيدة بمن حولها، أسند إخبار (نوير) عن وصية أبيها من أبي سالم مباشرة، فكان للمشهد الحواري دور الكبير في بث الحياة والروح في الحدث، ووسيلة لتشويق القارئ إلى مجريات الأحداث ومعرفة فحوى الوصية.

---

(١) محمد بو عزة، "محمد، تحليل النص السردي؛ تقنيات ومفاهيم". (ط١، القاهرة: الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠م) ص ٩٥.

(٢) الغيثي، "دموع الرمل"، ص ٢٧ – ٢٨.

كما لجأ الشتيوي في روايته إلى تقديم العالم الداخلي لشخصياته وذلك عن طريق الحوار الداخلي، فيتوقف الحاضر السردي ويتباطأ؛ فالشخصية في ذلك تقوم بعرض أفكارها وأسئلتها الداخلية، ففي الاستعدادات التي تسبق المعركة، يقطع الحوار الداخلي لشخصية أبي نوير الحاضر السردي، يقول السارد: "فكر قليلا عن هذه الحرب التي ربما أكلت الكثير من الرجال، هؤلاء الذين يتحدثون قبل قليل عن أهلهم ستأكلهم الحرب. اليوم يحكون وغدا يحكى عنهم. هكذا هي الدنيا ببساطة! ما نفعل هنا في هذا المكان"(١).

الحوار الذاتي السابق يكشف عن آلام الشخصية واحزانها، والتي بسببها يطول زمن السرد ويتوقف، لصالح عرض مخاوف الشخصية وتساؤلاتها عن المصير القادم، هل هو البقاء!؟ أم الموت؟

كما عمل الحوار الداخلي على استمالة القارئ لمتابعة الحدث، وإتاحة الفرصة للقارئ في مشاركة الشخصية في آلامها ومخاوفها.

الرواية حافلة بالحوار الباطني بين الشخصية وذاتها، ومن ذلك الحوار الذاتي الذي انتاب (نوير) بعد علمها عن وصية ابيها بالزواج من أبي سالم، وموقفها بعد الزواج، ورغبتها الشديدة في الحمل بولد، وغيرها الكثير من الحوارات الداخلية التي تكشف عن أفكار الشخصية ومخاوفها وتأملاتها، وكان لها الدور الكبير في توقف الزمن السردي، على حساب إيضاح الشخصية ومتابعة كل ما يشغل بالها، والكشف عن مكنون ذاتها القلقة.

هكذا يشكل الحوار بشكليه الثنائي والداخلي تقنية زمنية تتمثل في توقف وابطأ الزمن السردي من أجل إيصال تصورا ومغزّى أرداه الكاتب، وكاشفا أعماق الشخصية وخفاياها وهواجسها.

(١) المصدر السابق، ص٦٠.

ب – الوقفة:

فيها يتوقف الزمن توقفا تاما؛ فتتوقف الأحداث عن الجريان "ففيها يتوقف سرد الحكاية، توقفات معينة يحدثها السارد من خلال مقاطع غير سردية عن طريق الوصف، يقطع بها الوصف السيرورة الزمنية ويعطل حركتها"(١).

ففي افتتاح الرواية نجد الكاتب يؤجل سرد الأحداث، ليصف للقارئ المكان الذي ستقام فيه الأحداث، يقول السارد: "تنفتح الصحراء أمام ناظريها بكل اتساعها، فلا ترى إلا هذا الرمل المتعاقب إلى آخر العالم الذي باستطاعة عينيها أن تراه، والسراب الذي يلوح من بعيد يشكل لا شيء أيضا غير تهويمات الأرض... لم تر في حياتها بيتا مشيدا، ولم تبصر عيناها في حياتها نهرا يجي ماؤه بهذه الكثرة كما يقول الناس. كل الذي تعرفه بيوت شعر متفرقة هنا وهناك، وهذه الصحراء، والسيل الذي لا تره إلا مرة في السنة أو مرتين..."(٢)، هذه الوقفة الوصفية للصحراء وللشخصية ــ التي عملت على تباطأ الزمن السردي للرواية ــ كان من شأنها أن تجعل القارئ يعيش في أجواء الحكاية ومحيط النص، فكانت هذه الوقفة كنقطة البداية التي تمهد إلى انطلاق الأحداث.

ونرى كذلك الوقفات التأملية التي يفصل بها الكاتب الأحداث، وتعمل كاستراحة للقارئ من تدفق الحدث والزمن، فيظهر ذلك في وصف حال الشخصية (نوير) بعد وفاة أبيها واخوتها "لماذا كان الموت هاجس الحياة الأزلي؟ يأتي الإنسان إلى هذه الحياة من أجل أن يسير ببطء إلى مماته. أي فكرة موحشة هذه الحقيقة التي عرفتها وهي في شبابها! تسير وهي ترى الصحراء وحشا كبيرا يشكل أصعب ما يمكن أن يتصوره الإنسان، ومع ذلك تبقى هي الجسد الأكبر الذي ربما تحنو عليها

(١) حميد لحميداني، " بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي". (ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م)، ص٧٦.

(٢) الغيثي، "دموع الرمل"، ص١٥.

في يوم كما تحنو السماء على الأرض ذات مطر..."[١].

هذه الوقفة تعد من الخواطر التي تأتي على لسان السارد العليم، وهي تفسيرات تمدد الزمن، بغية تقديم فائدة تفيد مضمون السرد؛ فالموت والفقد كان ملازما للشخصية (نوير) منذ شبابها، والصحراء هي كل ما يحيط بها.

ومما سبق يتضح لنا تجليات الزمن في رواية "دموع الرمل" وكيف تعامل الكاتب مع هذه التقنية.

(١) الغيثي، "دموع الرمل"، ص٢٢.

الخاتمة

لقد عني هذا البحث بالكشف عن عامل الزمن في السرد الروائي؛ وبالأخص رواية (دموع الرمل)، وقد أسلف أن عنصر الزمن من العناصر الرئيسية التي تقوم عليها الرواية، وقد جرت الدراسة على أربعة مباحث: بناء الزمن وأنماطه والمفارقات الزمنية والحركات السردية.

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

●ظهر في الرواية بناءان للزمن؛ هما:

أ ــ البناء التتابعي التسلسلي والذي تظهر فيه الأحداث متتابعة كما في حديث الحفيد عن نشأة جدته منذ ولادتها مرورا بشبابها ومعاناتها مع الفقد وصولا إلى كبر سنها وحكايتها لأحفادها عما مرت به في حياتها.

ب ــ البناء المتداخل للزمن المتمثل في البناء الدائري؛ وهو البدء من النهاية، ثم العودة إلى الماضي ليفسر هذه النهاية، فالحفيد هو أول شخصية تقابل القارئ، ثم يرتد إلى الوراء ليحكي البداية التي نشأت معها الأحداث.

●ظهر الزمن الطبيعي واضحا من خلال المؤشرات الزمنية التاريخية والطبيعية؛ نحو لفظ الصباح والمساء ونحوه، وذكر الوقائع التاريخية كالمعارك التي دارت بين الملك عبد العزيز وابن رشيد.

●شكل الزمن النفسي معيارا لتحديد الزمن في النص؛ فإحساس الشخصية ومشاعرها كانت هي المتحكم في تحديد أطر الزمن، فيمتد ويتقلص مع إحساسها الباطني.

●أسهمت المفارقات الزمنية دورا كبيرا في إيضاح الأحداث، فبالاسترجاع حضرت وقائع غابت عن السرد، وأعاد أحداث ماضية، مما نشأ عنها تفسيرا أوضح للحاضر السردي. وبالاستباق شكل إشارات وتمهيدات للقادم من الأحداث.

●ظهر الكثير من التقنيات الزمنية التي أسهمت في تسارع الزمن وبطئه؛ المتمثلة في الخلاصة والحذف والمشهد والمونولوج والوقفة.

المصادر والمراجع

- بحراوي، حسن، "بنية الشكل الروائي". (ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م).
- البستاني، بطرس، "دائرة المعارف". (د.ط، بيروت: دائرة المعرفة، د.ت).
- سيزا، قاسم، "بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)". (ط١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م).
- طالب، أحمد، "مفهوم الزمن ودلالاته في الفكر والأدب". مجلة الآداب واللغات٢، (٢٠٠١م).
- العبودي، سهام صالح، "أصوات الزمن في القصة القصيرة السعودية". (ط١، الرياض: دار المفردات للنشر والتوزيع، ١٤٤١ه).
- بو عزة، محمد، "محمد، تحليل النص السردي؛ تقنيات ومفاهيم". (ط١، القاهرة: الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠م).
- عصفور، جابر، "زمن الرواية". (ط١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م).
- الغيثي، شتيوي، "دموع الرمل"، رواية. (ط١، الرياض: دار تشكيل، ١٤٤٥/ ٢٠٢٣م).
- القاضي، محمد، وآخرون، "معجم السرديات". (ط١، القاهرة: دار العين، ٢٠١٠م).
- لحميداني، حميد، " بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي". (ط١، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م).
- مندلاو، أ. "الزمن والرواية". تر: بكر عباس وإحسان عباس، (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).
- النعيمي، أحمد حمد "إيقاع الزمن في الرواية المعاصرة". (ط١، عمان: دار فارس، ٢٠٠٥م).
- هانز ميرهوف، "الزمن في الأدب". تر: أسعد رزوق، مر: العوضي الوكيل، (ط١، القاهرة: مؤسسة سجل العرب، ١٩٧٢م)، ص٧.

Sources and references

- Baḥrāwī, Ḥasan, "Binyat al-shakl al-riwā'ī". (Ṭ1, Bayrūt : al-Markaz al-Thaqāfī al-ʻArabī, 1990m).
- al-Bustānī, Buṭrus, "Dā'irat al-Maʻārif". (D. Ṭ, Bayrūt : Dā'irat al-Maʻrifah, D. t).
- Sīzā, Qāsim, "binā' al-riwāyah (dirāsah muqāranah lthlāthyh Najīb Maḥfūẓ)". (Ṭ1, al-Qāhirah : al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-ʻĀmmah lil-Kitāb, 1984m).
- Ṭālib, Aḥmad, "Mafhūm al-zaman wa-dalālātuhu fī al-Fikr wa-al-adab". Majallat al-Ādāb wāllghāt2, (2001M).
- al-ʻAbbūdī, Sihām Ṣāliḥ, "Aṣwāt al-zaman fī al-qiṣṣah al-qaṣīrah al-Saʻūdīyah". (Ṭ1, al-Riyāḍ : Dār al-Mufradāt lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ, 1441h).
- Bū ʻAzzah, Muḥammad, "Muḥammad, taḥlīl al-naṣṣ al-sardī ; Tiqniyāt wa-mafāhīm". (Ṭ1, al-Qāhirah : al-Dār al-ʻArabīyah lil-ʻUlūm, 2010m).
- ʻUṣfūr, Jābir, "zaman al-riwāyah". (Ṭ1, al-Qāhirah : al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-ʻĀmmah lil-Kitāb, 1999M).
- al-Ghaythī, Shutaywī, "Dumūʻ al-raml", riwāyah. (Ṭ1, al-Riyāḍ : Dār tashkīl, 1445/2023m).
- al-Qāḍī, Muḥammad, wa-ākharūn, "Muʻjam al-Sardīyāt". (Ṭ1, al-Qāhirah : Dār al-ʻAyn, 2010m).
- Laḥmīdānī, Ḥamīd, "Binyat al-naṣṣ al-sardī min manẓūr al-naqd al-Adabī". (Ṭ1, Bayrūt : al-Markaz al-Thaqāfī al-ʻArabī, 1991m).
- mndlāw, U. "al-zaman wa-al-riwāyah". tara : Bakr ʻAbbās w'ḥsān ʻAbbās, (Ṭ1, Bayrūt : Dār Ṣādir, 1997m).
- Ibn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram ibn ʻalá Abū al-Faḍl Jamāl al-Dīn, "Lisān al-ʻArab". (ṭ3, Bayrūt : Dār Ṣādir, 1414h).
- al-Nuʻaymī, Aḥmad Ḥamad "Īqāʻ al-zaman fī al-riwāyah al-muʻāṣirah". (Ṭ1, ʻAmmān : Dār Fāris, 2005m).
- Hānz myrhwf, "al-zaman fī al-adab". tara : Asʻad Razzūq, marr : al-ʻAwaḍī al-Wakīl, (Ṭ1, al-Qāhirah : Mu'assasat sijill al-ʻArab, 1972m).

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	١٢٠٩
٢-	Abstract	١٢١٠
٣-	المقدمة	١٢١١
٤-	تمهيد	١٢١٣
٥-	المبحث الأول: بناء الزمن	١٢١٥
٦-	المبحث الثاني: أنماط الزمن	١٢١٨
٧-	المبحث الثالث: المفارقات الزمنية	١٢٢٥
٨-	المبحث الرابع :الحركات السردية	١٢٣٠
٩-	الخاتمة	١٢٣٨
١٠-	المصادر والمراجع	١٢٣٩
١١-	فهرس الموضوعات	١٢٤١